« انَّ في مصر حالًا بعض العملة ممَّن يشتغلون بالعاديَّات فيتقلَّدون اعمال اجدادهم ليرتزقوا ببيع الآثار المزوَّرة للاجانب السافرين في وادي النيل . فترى اذا ما دخلتَ حوانيتهم على جانبيهم نحو عشرين منحتًا وازميلًا من رذالة الحديد لا يضربون بها ضربًا قليلًا حتى تفسد فاذا بطل استعمالها قاموا الى بوتقتهم فاصلحوا الحديد بسهولة وعادوا الى العمل . وقد تمكن بعض هؤلاء المزيِّفين ان يصطنع في الاقصر رأس تمثال من الصوَّان المحبَّب الاسود ذات تقاطيع حمر على كبر راس طبيعيّ واتمَّهُ بخمسة عشر يومًا. وهذا الراس يحفظ اليوم في متحف بولاق. (قال) ولا اشكُّ في انَّ قدماء العملة المصريين كانوا يجرون على هذه الطريقة فيغلبون أتعبَ الحجارة بما ينفدون فيها من الحديد »

فللَّه درُّ قدماء المصريين كيف اتَّصلوا الى نتائج عجيبة بوسائل لا نكاد نحسبُ لها حسابًا (ستأتي البقيَّة)

الاسفنج السوري.

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

الاسفنج من ادنى طبقات الحيوان تظهر فيه مظاهر عديدة من الحياة النباتيَّة حتى نظمهُ بعض القدماء في سلك النبات وانكروا كونهُ حيوانًا. قال ابن بيطار في المفردات (ج ١ ص ٣٢) نقلًا عن ابي العبَّاس النباتيّ ما حرفهُ: « قد تحقَّقنا انَّ الاسفنج ينبت على الحجارة بخلاف زعم من زعم انهُ حيوان او كالحيوان وفيهِ قوَّة حيوانيَّة وهو ليس من ذلك كلهِ في شيء وانَّما هو شيء يشبهُ الليف الرقيق الذي يكون على الججارة او كليف أكرَ البحر » على انَّ العلماء اثبتوا اليوم بما لا يبقى بعدهُ شُبهة ان الاسفنج حيوان بحريّ من الجنس المشعّ (rayonnés) كالمرجان وكلاهما من فصيلة تدعى كولنتريَّة (cœlintérés) اي ذات جهاز هضميّ مجوَّف. والاسفنج كالمرجان في تكوينهِ وهو عبارة عن مادَّة لزجة هلاميَّة يكون في اوَّل امرهِ مثل كُتلة صغيرة كالقُمَيحة وهو مستقلٌّ في حركتهِ فاذا نما وبلغ تجمَّعت افرادهُ بعددٍ لا يُحصى وتضامَّت بعضها فكوَّنت شبه مستعمرة وافرزت مادَّة ليفيَّة او كلسيَّة تخرة تسكن فيها

وتغتذي بها مما تجده في قاع البحر من المواد المغذية المختلطة بالماء. وهي لا تزال تنمو وتتضام الى ان تكبر وبعض اشكالها يبلغ الذراع والذراعين. وما دام الاسفنج حياً يعلو جسمهُ مادةٌ هلاميةٌ ذات اهداب ينفذ في ثقوبها الماء ويخرج من فوهات لها. قال ابن بيطار (٣٢:١): «وينتأ عليها من جانبي كل شعرة جليدة صغيرة ثم يتصل بعضها ببعض شيئاً بعد شيء حتى يصير على الهيأة المعروفة»

والاسفنج على ضروب مختلفة يبلغ عددها فوق المئة وكلها داخلة في حكم واحد يُطلق عليهِ العلماء اسم الطائفة الاسفنجية (spongiaires) وهذه الضروب تختلف في الهيئات والالوان والنعومة بما يطول هنا شرحهُ ويضيق المقام دون وصفهِ فنكتفي بذكر الاسفنج السوري الذي اكسب بلادنا شهرةً عظيمة وافادها اموالاً بليغة

غنيٌّ عن القول انَّ للاسفنج السوري من اللين والنعومة وحسن الشكل ما لم يبلغهُ صنفٌ واحد من صنوف الاسفنج المتعددة. ولذلك لم يزل التجار يتهافتون عليهِ ويقبلون اي اقبال ويفضلونهُ على الاسفنج الاميركي الخشن والاسفنج المغربي الاسمر الغليظ والاسفنج المكسكي العظيم الحجم القليل المنفعة

والاسفنج السوري يمتدُّ على طول الساحل من الاسكندرونة الى صيداء وافضلهُ بين بيروت واللاذقية على مسافة كيلو متر او كيلومترين من سيف البحر. وهو ايضاً على ضروب مختلفة

الضرب الاول وهو احسن انواعهِ الاسفنج السوري الناعم (euspongia mollissima) يكون شديد اللين لطيف الملمس اصفر ضارباً الى الشقرة وهو كأسي الشكل على شبه قمع مستدير واسع في اعلاهُ وضيق في اسفلهِ فيهِ ثقوب ناعمة ذات قطر واحد وهو الاسفنج الذي يتخذ للغسل ونظافة الاجسام اللطيفة ويكون في الغالب صغيراً على قدر قبضة اليد يمتصُّ الماء امتصاصاً عظيماً. وهذا الصنف يباع الكيلوغرام الواحد منهُ من ٨٠ فرنكاً الى ٢٠٠ فرنك على حسب شكلهِ او حجمهِ

والضرب الثاني يقرب من الاول قيمةً واعتباراً ويكون ضارباً الى الحمرة مستديراً يشبهُ في شكلهِ القطر. والفرنج ينسبونهُ الى البندقية (éponge de Venise) لانهم اشتهروا ببيعهِ ومنهم من يدعوهُ شيموزاً (Chimouses). وهو ايضاً غالي الثمن. الا انهُ دون الاول. ومنهُ نوعٌ يبلغ قطرهُ من ٣٠ الى ٤٠ سنتيمتراً تكثرُ

مسامُهُ وثقوبهُ مستديرة متَّسعة ويكون خشنًا ويدعى في لسان العلم اسفنج الفرس (euspongia equina)

امَّا الضرب الثالث فيدعى الاسفنج المادي او التجاري (euspongia officinalis) وهو كثير في البحر المتوسط عمومًا وفي سواحل سوريَّة خصوصًا يدعوهُ السوريُّون قبا ويكون صلبًا ذا اشكال قميَّة او على شكل نصف دائرة ومنهُ مستدير ومنهُ مسطَّح. ويُتخذ في القالب للاعمال الصناعيَّة

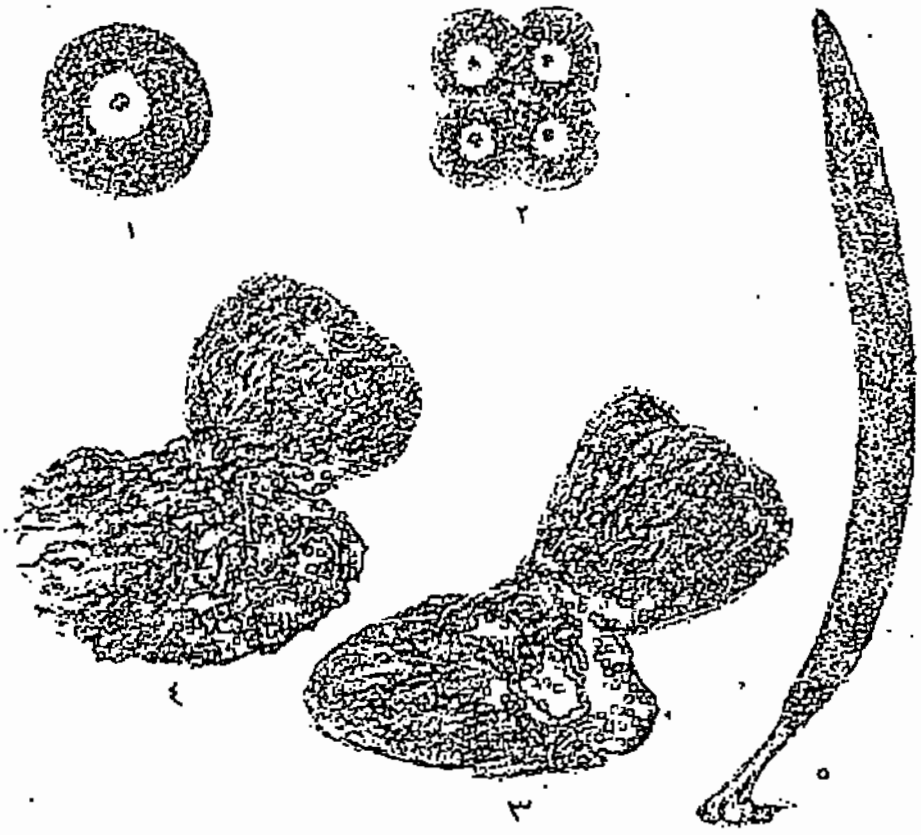

١ بيضة الاسفنج عند تزوجها = ٢ تفريخ البيضة = ٣ و ٤ الاسفنج السوري = ٥ اسفنج اميركي مستطيل مقوَّس (Axinella polypoides)

واعلم انَّ الاسفنج الفاخر الكثير الرواج في التجارة انما موقعهُ في البحر على عمق

سبعة اذرع الى عشرين ذراعاً ومن بعض اشكاله ما يكون معدّل عمقه من ١٦ الى ٢٠ قامة. ومغاص الاسفنج في بحر الشام يبتدئ في شهر ايار وينتهي في آب او في ايلول

فاذا آن موسمهُ ترى مئات من الزوارق تجري على البحر بشُرُعها البيض كانها الحمام يرفرف باجنحته. وكلُّ زورق يركبهُ ثلاثة او اربعة من الغوّاصين. فاذا بلغوا مكان الاسفنج غطسوا بالتتابع واقتلعوا الحيوان من صخره. وان اعتاص عليهم قلعهُ قطعوهُ بشفرةٍ معهم. والبعض من هؤلاء الغوّاصين يبقى في جوف المياه ثلاث دقائق واكثر دون ان يتنفّس. واذا كان البحر عميقاً عُلّق برجل الغائص حجرٌ ليثقل به فينزل الى قاعهِ واذا احسّ بوعثةٍ سحب حبلاً مربوط بوسطهِ واشار الى رفقتهِ بان يخرجوهُ. هذه هي الطريقة الشائعة بين اهل الشام. اما الاروام فيتخذون لهم لباساً خصوصياً يمكنهم من الشغل في قعر البحر زمناً مديداً ويقتلعون الاسفنج بعصاةٍ تنتهي بحديدة ذات رؤوس معكّفة الّا انَّ الاسفنج يتخرّق بهذا النوال ويتلف بعضهُ فينقد قيمتهُ

واذا انتهى الغوّاصون من العمل جمعوا الاسفنج فتقعوهُ بماء البحر ثم يدوسونهُ بالارجل درساً طويلاً ويكرّرون غسلهُ ثم درسهُ حتى تنفصل عنهُ المادّة الهلاميّة اللزجة الكريهة الرائحة التي تكسوه ثم يغسلونهُ بالماء الفاتر ويجعلونهُ في ماء ممزوج ببعض حوامض منظّفة كركّبات الكلور او الكبريت ثم يعرضونهُ للبيع

وكان اهل الشام يربحون من هذه التجارة ارباحاً عظيمة حتى ان الغوّاص كان يكسب منها نحو المئي فرنك. وقد اطّلعنا على قائمة المبالغ التي حصلت من الموسم السوري في بعض السنوات الاخيرة فهي كما ترى:

١٨٩٠	١,٥٠٠,٠٠٠	فرنك
١٨٩٤	١٢٦,٠٠٠	«
١٨٩٥	٣٠٠,٠٠٠	«
١٨٩٦	٣٠٠,٠٠٠	«
١٨٩٧	٤٤١,٠٠٠	«

وقد بلغنا ان هذه التجارة كسدت منذ ثلاث او اربع سنوات مذ تواترت المهاجرة الى امركة. فلنا الامل انَّ دولة المتصرّف الجديد يسعى في انعاشها وانمائها كيف لا وهي من اعظم مصادر الثروة للبنان

ولكن لا بُدَّ لهذه الحرفة من نظام لئلاَّ تنقطع مادَّتها من شواطئ الشام وذلك اذا توالى الغَرص على محل واحد فيتلف النَّسل ويفنى. ويا ليت اصحاب الامر يتداركون الامر فيعيّنون كلّ سنة مكانًا للمغاص ويعتنون بتوفير بيوض الاسفنج وزَرْع قطعه كما يفعل النباتيُّون. وقد جرَّب العالمان لامبرال الفرنسويّ وشيت النمساويّ استفراخ الاسفنج السوريّ في فرنسة والنمسة فنقلا في ماء البحر اسفنجًا حيًّا ثم قسماهُ قطعًا وابتناهُ قعر البحر فوجدوا بعد مدَّة القِطَع نامية الَّا انهُ حالت دون مساعيهما مشاكل منعتهما من استثمار هذه التجارة لكنَّ اختباراتهما بيّنت لاهل سوريَّة انهُ يمكنهم استدرار ارباح الاسفنج مدَّة طويلة بل يستطيعون توفيرها لاسيَّما انَّهم يجدون في بلادهم من اشكاله ما لا يزاحمهم به احد. ارشد الله ذوي الهمَّة الى ما فيه نفع البلاد

مطبوعات شرقية جديدة

Geschichte von Sul und Schumul

herausgegeben von Dr G.F. Seybold. Leipzig, SS. XVIII - 104

حديث السُّول والشُّمول

سمّى بنشره الدكتور سيبولد

لمَّا كان الدكتور وتشتين (Wetzstein) في دمشق (١٨٦٠—١٨٦٢) اسعده الحظّ على اقتناء مجموع ثمين من المخطوطات العربيَّة تُصان الآن في كليَّة توبنغ. وكان في جملة هذه الآثار كتابٌ خُطَّ منذ ٥٠٠ سنة يحتوي على حكاية من حكايات الف ليلة وليلة لم يوجد لها ذكر في كل مجاميع هذه القصص الشهيرة. واسم الحكاية «السُّول والشمول» خلاصتها ان السُّول احد فرسان اليمن من بني سعد اختطفت الجنُّ ابنة عمّه الشمول ليلة زواجه فالبسوها السواد وجعلوها في صومعة واقاموا على حراستها اربعين غلامًا في زيّ الرهبان. فعرف السُّول بامرها وخرج في طلبها في العراق والشام ومصر حتى استدلَّ على مكانها في مدينة السَّحَرة بعد ركوب الاهوال والتقى بها فرحًا مسرورًا. وهذه القصَّة ليست دون قصص الف ليلة وليلة في شيء من حيث سهولة التعبير وحسن الاوصاف وجودة التخيُّلات مع شعر يكاد يسيل رقَّة. ومن فوائد هذه القصَّة ذكر عدد